



## أما قبل...

### د. هلال الحجري

من الأعمال التي أُنْتُ في سن مبكر لكتابها كتاب «شرح بلوغ الأمل في المفردات والجمل» للعلامة نور الدين السالمي (1871-1913): أنه حين كان سنه سبع عشرة سنة.

والحديث عن نور الدين السالمي في هذا السياق، حديث مُذهل؛ لأن قصة حياة أعجوبة من أعاجيب الدهر؛ تقرأ عن سيرته فتراه رجلاً استثنائياً بكل المقاييس. فقد بصره وهو في السنة الثانية عشرة من عمره، وكان في صباه حديد الذاكرة لا يسمع شيئاً إلا وعاه؛ وقد عاش أقل من خمسين سنة مלאها إنجازات نوعية تزيد على عشرين مصنفاً في شتى ضروب المعرفة: العقيدة، والفقه وأصوله، والتاريخ، والحديث، والفروض، والنحو، وغيرها. ورغم كفا البصر، وقصر العمر، ومسقة الحياة في عمان في عهده، لم يقتصر على التأليف فحسب؛ وإنما كان مُصلحاً اجتماعياً فذاً اشتغل بالتعليم والفتيا والعمل السياسي. سيرة قصيرة ولكنها حافلة بإنجازات يصعب تفصيلها هنا، ولعل الشاعر الكبير أبا مسلم البهلاني أدق من اختصرها بقوله راثياً له:

جَمَعَ الْعَالَمَ فِي حَيْزُومِهِ ×× أترى الْعَالَمَ فِي الْقَبْرِ تَزَلُّ؟

أما كتابه «شرح بلوغ الأمل في المفردات والجمل» فهو باكورة أعماله، أرجوزة نحوية تتكون من 228 بيتاً، شرحها في كتاب ضمّنه كتاب ابن هشام الأنصاري المعروف بالإعراب عن قواعد الإعراب . يستهل الأرجوزة بقوله:

الْحَمْدُ لِلَّهِ مُفْضَلُ الْجَمَلِ ××× حَمْدًا بِهِ أَنَالَ أَشْرَفَ الْأَمَلِ  
ثُمَّ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ الْأَبْدِيُّ ××× عَلَى النَّبِيِّ الْمُصْطَفَى مُحَمَّدٍ

ويختتمها بقوله:

تَمَّ بِحَمْدِ اللَّهِ هَذَا النُّظْمُ ×× عَلَى طَرِيقِ يَسْتَهِيهِ الْفُهْمُ  
لَكِنَّهُ فِي غَالِبِ الْأُمُورِ ×× مُقْصَرٌّ عَنِ أَصْلِهَا الْمَذْكُورِ  
وَإِنَّمَا أَخَذْتُ مِنْهُ ذُرًّا ×× وَجِئْتُ بَعْدَ نَظْمِهِ مُعْتَذِرًا  
سَمَّيْتُ نَظْمَهُ بِلُغَةِ الْأَمَلِ ×× إِذْ بِالنُّظْمِ قَدْ بَلَغْتَ أَمِّي  
وَلَمْ أُصْنَفْ قَبْلَهُ مُصْنَفًا ×× قَطُّ، فَيَعْفُو اللَّهُ عَنِ عَبْدٍ عَفَا

ومن يقرأ الكتاب يعجب كيف لشاب لم يجاوز السابعة عشر ربيعاً من عمره، ويضطلع بمناقشة قضايا نحوية ولغوية عويصة، بل ويناقش أئمة النحو العربي مناقشة تنم عن هضمه لعلم من أصعب علوم العربية، ثم تراه ينتصر أحياناً، في مناكفته لهم، لرأيه بكل ثقة واطمئنان.

نجده مثلاً يعرض أقوال النحاة في معاني «لأ»، ومنها أنها تجيء بمعنى «لأ»، الاستثنائية، كما في قوله تعالى: «وَأِنْ كُلُّ لَأٍ جَمِيعٌ لَدُنِّيْنَا مُخَضَّرُونَ». فيقول الشيخ الشاب:

«والجوهري حظل، أي منع مجيء «لأ»، بمعنى «لأ»، حيث قال: إن «لأ»، بمعنى إلا غير معروف في اللغة، وسبقه إلى ذلك القراء، وأبو عبيدة، لكن لا التفات إلى قولهم؛ فقد حكى مجيئها لذلك الخليل، وسيبويه، والكسائي، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، والمثبت مُقدّم على الناظر».

ولنا أن نتخيل شاباً بهذا العمر المبكر قد قرأ أمهات النحو العربي، وهضم مشكلاتها العويصة، وكوّن رأيه الخاص، ثم انبرى للتأليف فيها!

حقاً، إن الشيخ السالمي - رحمه الله - كان آية من آيات زمانه.

العالم الإسلامي في جغرافية ابن خلدون ومقدمته

القيم وإشكالات الهوية

الكتابات اليونانية في العهد العثماني

رؤية حديثة لفكر الإمام أبي الحسن الأشعري

سيناريو الجزية بين آيات مقدسة وشبهات مستشرقة

كيف يرى فيشت الحق الطبيعي؟

القوانين الدولية والخير العام

إن الله محبة

الفجوة الرقمية للمخطوط العربي!

إشكالية العلم واستعصاءاته على التحديات الشائعة في العصر الحديث

المشاريع الدينية وآمال إعادة البعث

